

١٦ الدكتور الاستاذ اغناز غولدزهر . بحث في علم كلام فخر الدين الرازي . وجهه الفلسفة الى علم الكلام . ومجادلته لاهل الجرجانية (وكانوا معتزلة من خوازم) التي اقامها على ثلاث دعائم وهي : ضوابط تاويل القرآن . نقد الحديث نقداً بتدقيق ، نظرية خلق (الكلام) في محل . فن نظر الى هذه المباحث وكثرتها وما فيها من الوعورة والصعوبة حكم ان ذاك المومع كان من اجل المومعات التي عقدت وكان للعرب فيه حفظ واقره ففسى ان ينشط الشرق من خوده او بجوده ويعود الى سابق عهده ، وسامق مجده .

لـم

المختار في الطب

د تصنيف الشيخ الامام العالم الاوحد مذهب الدين شمس الاسلام ابي الحسن علي بن احمد بن هبل الطيب ، المولود ببغداد في ٢٣ ذي القعدة سنة ٥١٥ ، والمتوفى في الموصل ليلة الاربعاء ١٣ من المحرم سنة ٦١٠ هـ (اي ولد في ٣ شباط ١١٢٢ وتوفى في ٥ شباط سنة ١٢١٣ م) .

قبل ان نصف هذا الكتاب البديع في خطه ومحتوياته نذكر ترجمة المؤلف نقلا عن ابن القفطي قال :

علي بن احمد ابو الحسن يعرف بابن هبل (لا الهبل كما جاءت في النسخة المطبوعة في ليبسيك) الطيب ، ولد في بغداد ونشأ بها ، وقرأ فيها الادب والطب ، وسمع وروى عن مشايخ وقته . ثم صار الى الموصل ، وخرج الى آذربيجان ، واقام بخلاط عند صاحبها شاه ارمن يطبه . وقرأ الناس عليه هناك الحكمة والادب . وفارق تلك الديار لسبب وهو : ان بعض العاشدارية (الخدام الذين يحملون العشت للامير) قال له يوما وقد نظر الى قارورة الملك في بعض امراضه : يا حكيم لم لا تذوقها ؟ فسكت عنه . فلما انفصل عن المجلس قال له في خلوة : قولك هذا اليوم عن اصل ام قول غيرك او هو شيء خطر لك فقال : انما خطر لي لاني سمعت ان ذوق القارورة من شروط اختيارها . فقال له : الامر كذلك ؛ ولكن لا في كل الامراض . وقد اسأت الى بهذا القول لان الملك اذا سمع

هذا ظن اننى قد أخلت بشرط واجب من شروط خدمته وقوانين الصناعة فيها . ثم انه عمل على الخروج لاجل هذه الحركة والخوف من عاقبتها بعد ان رشا العتيدار حتى لا يعود الى مثلها . وخرج وماد الى الموصل وقد تحمل فاقام بها الى حين وفاته وحدث بها واقاد . وعمر حتى يحجز عن الحركة فلزم منزله قبل وفاته بسنين . وكان الناس يترددون اليه ويقرأون عليه . وسئل عن مولده فقال : ولدت ببغداد بباب الازج في ٢٣ من ذى القعدة سنة ٥١٥ هـ وتوفي بالموصل ليلة الاربعاء ١٣ من المحرم سنة ٦١٠ هـ وله كتاب في الطب سماه المختار رايته في اربعة مجلدات وله غير ذلك . هـ وهذه الترجمة وردت في تاريخ الدول لابن العبري ص ٤٢٠ . وقد ذكر صاحب كشف الظنون كتابا آخر اطيننا هذا واسمه مختارات ابن هبل قال عنه : « في الطب على ترتيب الاعضاء » . والظاهر ان هذا الطبيب كان عظيم الشهرة في زمانه لان ابن الحاج الشيرازي لما ألف كتابه (روضة المطر) نقل عن مؤلفات ابن هبل لانه يقول في مقدمته كتابه : وكنت لما هممت بهذه الصناعة [اى الصيدلية] كتبت لنفسى هذا الكتاب حسب مرادى مجتمعاً من كتب شتى كالفقانون والذخيرة ومختارات ابن هبل والظاهر ان صاحب كشف الظنون لم ير كتاب المختار لانه لم يصفه . وقد وقع هذا الكتاب بيد احدادباء بغداد فارانا اياه لنصفه للقرآء . والموجود هو المجلد الاول وهو كبير الحجم طوله ٢٦ سنتيمتراً في ١٠ عرضاً . وفيه ٢٠٤ صفحات في كل صفحة ١٦ سطراً . طول كل منها ١٤ سنتيمتراً . خطه في منتهى الحسن والجودة . وقد كتبت عناوين الفصول بالحبر الاحمر . ومن خصائص خط هذا الكتاب ان لكل حرف مهمل يقابله حرف معجم علامة تميزه ، وهى سكون غير تام الاستدارة او هلال صغير متجه قرناه الى فوق .

في اول صفحة من الكتاب هذا العنوان بحرف ضخيم حسن : المجلد الاول من المختار في الطب . تصنيف . . . وفي اعلاه : طالعاه محمد ابن نصر الطيب . وقد تملك الكتاب جماعة من الناس . يشهد على ذلك ما هناك من التعليقات وهذا نص بعضها : انتقل الى تصرف الامير حسن بن المرحوم يبرى بك عنى عنهما العافى ، . . . والان قد انتقلت بالشراء الشرعى الى الفقير محمد

بن خريب الموصلى اصلا والحق مسكناً . هـ — انتقل بحكم المبايعه الشرعيه الى ملكه السيد الضميف موسى بن القس مسعود صرف بالجسولوى وذلك فى تاريخ رابع عشر نيسان سنة الف وسبعمائة وثلاثة للاسكندر اليونانى ولله الجيد دائماً كما هو اهل ومستحقه . امين . هـ . (هذه السنه توافق ١٣٩١ م او ٧٩٤ هجرية) — قد انتقل الى ملكى الحفير المتطبب محمد على العظم رالى مسكناً ومسقطاً الملقب بمؤيد الاطباء البختيارى اصلا . فى كربلا المعلى فى سنه ثمانين بعد الف من الهجرة النبويه . هـ . (لكن قد حكى كلمه مشين وكتب عوضها سنه عشر وثلاثمائة الا ان نقش الخاتم المطبوع بامد الكتابه وتاريخه ١٢٠٠ يكذب كلام المزور المحتال او السارق الخيى) — قد اشترى هذا الكتاب وصار من ممتلكاتى وانا الفقير اليه تعالى محمد الحسين الطيب المازندراني فى شهر ربيع الاول سنه ٨٨ ، الى ذلك نقش الخاتم وهذا نصه : لا اله الا الله . الملك الحق المين محمد الحسين ٨٨ ومن الذين تملكوه اثنان آخران لم نهند الى قرأه اسمهما .

والظاهر ان هذه النسخه وضعت فى مجلدين كبيرين لافى اربعة مجلدات ، لاننا نرى فى الصفحه الاخيره ما هذا نصه : وانتم الان الكلام فى الاصول الكلية فى الطب ولناخذ فى ذكر الادويه المفردة والمركبه . ونبسط الكلام فيها ، لانها هى الاله المعبته فى مقاومة الامراض . ثم يقول : ثم الكتاب الاول من المختار فى الطب والحمد لله تعالى ... المين وصلواته على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلامه ونحيته وكرامه . ووافق الفراغ منه ثمانى عشر شهر رمضان سنه عشر وستمائة . علقه لنفسه محمد بن احمد بن محمد بن يحيى . هـ . وعليه فيكون الكتاب قد كتب فى سنه وفاة المؤلف اى بعد ثمانيه اشهر من وفاته . والكتاب يبتدى هكذا : بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الواحد القهار ، الملك الجبار ، مدير الفلك الدوار ، ومرسل الشعاع من الاجرام ذوات الانوار ، الى سطح الارض بلا قرار ، لتقسيم اجزاء البخار ، من الارض والماء ومنجها بالهواء والنار ، منجها بالتفاعل والتضاد ثم بالتبات والقرار . على كفيه واحكام متشابهه فيما بين الرطب واليابس والبارد

والحار . الخالق من هذه الأركان الإنسان بسائط الاعضاء . فمن الأرض اللحوم والعظام . ومن الماء جواهر الدماء . ومن الهواء الروح ومن النار الحرارة الغريزية الطائفة بالغذاء . المحسوسة في باطن الفضاء . من الصدر والماء . الحافظ لصحته بالاعتدال . وتنشق النسيم البارد من الهواء . منزل الداء ومعلم الدواء . والهادي إلى الشفاء . حمداً بلا انتهاء . وشكراً بلا انقضاء . والسلاة على محمد سيد الانبياء . وعلى آل محمد الاتقياء الاصفياء . اما بعد

فهذا هو الكتاب الجليل الذي اردنا ان نصفه للقرآء وهو حسن الورق تحيته بجلد بالسختيان الاحمر ومطبوع عليه نقوش عربية بارزة في الوسط والحواشي .

اما عبارته فبأساسة سهلة وفيه كثير من الالفاظ الاصطلاحية الطيبة التي تفيد اعظم فائدة للمشتغلين بالطبابة فضلاً عن ان فيه من الحقائق العلمية ما يوافق العلم الحديث وما نحن نذكر شاهداً وجيز الفصل للدلالة على أسلوبه وطريقته . قال :

فصل في تسمين القضيف وتقصيف السمين .

السمين العبل مستعد لوقوعه في المرض سريعاً . وطريق تهزيه تقليل غذائه بحيث لا تضعف القوة . ورياضته على الريق رياضة متعبة . ومتقللاً اليأس بالتدريج . فان السمين اذا قاجاً الحركة العنيفة اخطر بنفسه . ويجب ان يغذى بالأغذية اليابسة كالقلايا (اي المقلبات) والمعلجنات . ويجنب الامراق والدم . ويتناول من الحل حسب الاستطاعة وما يطين به الحُل . وكذلك المري . ويستحم على الريق ويستكثر من الدلك . وخاصة الدلك الحشن والادهان بالادهان الحارة ومصابة الجوع . ومن الادوية المهزلة مداومة اخذ الاطريقل الصغير . واما المهازيل فهو لا . نخصب ابدانهم باستعمال الاغذية المرطبة وينمسخوا في تناولها . ويدخلوا الحمام عقيب الهضم وقبل الحركة . ويقلوا التعب . ولا يتعرضوا للشمس . ولا للمرق والدخان والغيار ويجلسوا على الفرش الوبرة . ويهجروا الاغذية الحامضة الا بالصالح الشهوة ونهبها من المقدار اليسير . وسياتي في كتاب الزينة كلام مستوفى في هذا الباب . هـ . هـ .

فترى من هذا اثنان منزلة هذا الكتاب وبذل العناية في تعميم فوائده في طبعه اذا تمت اجزاؤه . ومن الغريب ان من هذا الكتاب نسختين في دار الكتب الخديوية وكل نسخة منهما تحوى الجزء الاول والثى عددها ٧٦٩٧ ثامه والثى عددها ٧٦٩٨ ناقصة الاخر لكن فهرست الكتب المذكورة لم تذكر سنة كتابتهما . ولعل ذلك ناجم من اهمال التاريخ فيهما . وبهذا القدر كفاية .

التشبيهات العامة

اصبحت اللغة العربية تضم بين دفتيها امماً شتى مشيرة في كل صقع : من اقاصى الهند وما يترى شرقاً ، الى اقصى بلاد الغرب وبحر الادرياتيک غرباً ، لا بل تعدت عباب الاقيانوس ، ونثرت بذورها الحية في اميركا ، فاصبحت موضوعاً من المواضيع التى تستحق البحث ، لاسيما وان اللغة خزانه تكثر تحت اغلاقها آثار الامم ، وافكارها ، ولولا تقييد خواطر الامم بالاخبار ، وتدوينها في الكتب التى هي نسيلة لغتهم لاضاعت الامم كلها باسرها ، فهى اوسع عيية لاخلق الامم ومعارفها ، واعدل شاهد على الناقص والوافر من الناطقين بها .

نرى صفاء من العلماء قد واصلوا الخطى ، واجهدوا دقائق الدماغ ، تفكراً وسعياً وراء العلوم الطبيعية ام الاختراعات الحديثة ، وطلباً لمصادر الزوة ، وتقريباً لاسباب المعيشة ، ونسجلاً للنقل ، وتخفيفاً للاتقال ، ونرى امامهم صفاء آخر ليس بالقليل يفتش اعماق الصخور ، وينقب في اجواف الكهوف ، عن كلمة من لغة الامم البائدة ، او عن سطر من اسفارها ، طلباً لتوسيع المدارك واختباراً لحالات الامم البائدة . وتصفحاً لاخبارها وآمارها من اخلاق وعلوم وعادات .

على ان علماء هذا اليوم لم يوجهوا انظارهم الى ما تقدم عهده من الامم الممالك المنقرضة ، ولغاتها ، وآدابها ، وتاريخها ، بل حوّلوا ايضا الى لغات اقوام هذا العهد الحية ، واخذت تمارضها بما سبق مثاله منها . لتعرف اسرار